{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ } * { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ } * { وَ مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } * { وَ مِن شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِي ٱلْعُقَدِ } * { وَ مِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }

الفلق و الفرق: الصبح، لأنّ الليل يفلق عنه و يفرق: فعل بمعنى مفعول. يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح، و من فرق الصبح. و منه قولهم: سطع الفرقان، إذا طلع الفجر. و قيل: هو كل ما يفلقه الله، كالأرض عن النبات، و الجبال عن العيون، و السحاب عن المطر، و الأرحام عن الأولاد، و الحب و النوى و غير ذلك. و قيل: هو واد في جهنم أوجب فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض، الفلق، و الجمع: فلقان. و عن بعض الصحابة أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمّة و ما هم فيه من خفض العيش و ما وسع عليهم من دنياهم، فقال: لا أبالى، أليس من ورائهم الفلق؟ فقيل: و ما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه { مِن شَرّ مَا خَلَقَ } من شر خلقه. و شرّهم: ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي و المآثم، و مضرة بعضهم بعضاً من ظلم و بغي و قتل و ضرب و شتم و غير ذلك، و ما يفعله غير المكلفين منه من الأكل و النهش و اللدع و العضّ كالسباع و الحشرات، و ما وضعه الله في الموات من أنواع الضرر كالإحراق في النار و القتل في السم. و الغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى:

{إلى غسق الليل}

[الإسراء: 78] و منه: غسقت العين امتلأت دمعاً، و غسقت الجراحة: امتلأت دماً. و وقوبه: دخول ظلامه في كل شيء، و يقال: وقبت الشمس إذا غابت. و في الحديث:

(1373) لما رأى الشمس قد وقبت قال: " **هذا حين حلها، يعني صلاة المغرب** " و قيل: هو القمر إذا امتلأ، و عن عائشة رضي الله عنها:

(1374) أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدي فأشار إلى القمر فقال: " **تعوّذي بالله من شرّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب** " و وقوبه: دخوله في الكسوف و اسوداده. و يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات: و وقبه: ضربه و نقبه. و الوقب: النقب. و منه: وقبة الثريد؛ و التعوّذ من شرّ الليل؛ لأن انبثاثه فيه أكثر، و التحرّز منه أصعب. و منه قولهم: الليل أخفى للويل. و قولهم: أغدر الليل؛ لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر و أسند الشرّ إليه لملابسته له من حدوثه فيه { ٱلنَّفَّٰثَٰتِ } النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط و ينفثن عليها و يرقين: و النفث النفخ من ريق، و لا تأثير لذلك، اللهم إلاّ إذا كان ثم إطعام شيء ضار، أو سقيه، أو إشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه؛ و لكن الله عزّ و جلّ قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحقّ من الحشوية و الجهلة من العوام، فينسبه الحشوية و الرعاع إليهنّ و إلى نفثهن، و الثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك و لا يعبئون به، فإن قلت: فما معنى الاستعاذة من شرّهن؟ قلت: فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر و من إثمهنّ في ذلك.

و الثاني: أن يستعاذ من فتنتهنّ الناس عند نفثهن، و يجوز أن يراد بهنّ النساء الكيادات، من قوله:

{إن كيدكن عظيم}

[يوسف: 28] تشبيهاً لكيدهن بالسحر و النفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهنّ لهم و محاسنهنّ، كأنهنّ يسحرنهم بذلك { إِذَا حَسَدَ } إذا ظهر حسده، و عمل بمقتضاه: من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. و عن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد. و يجوز أن يراد بشرّ الحاسد: إثمه و سماجة حاله في وقت حسده، و إظهاره أثره. فإن قلت: قوله: { مِن شَرّ مَا خَلَقَ } تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق و النفاثات و الحاسد؟ قلت: قد خص شرّ هؤلاء من كلّ شر لخفاء أمره، و أنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. و قالوا:شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر. فإن قلت: فلم عرّف بعض المستعاذ منه و نكر بعضه؟ قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، و نكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، و كذلك كل حاسد لا يضرّ. و رب حسد محمود، و هو الحسد في الخيرات. و منه قوله عليه الصلاة و السلام:

(1375) " لا حسد إلاّ في اثنتين " و قال أبو تمام:

وَ مَا حَاسِدٌ فِي المَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

و قال:

إنَّ الْعُلاَ حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ

عن رسول الله صلى الله عليه و سلم:

(1376) **" من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها ".**